

مجمع اللغة العربية
المؤتمر السنوي

لغة الطفل العلمية

مريم خير بك

وأنا أحاول التفكير بلغة الطفل أولاً، وبلغة الطفل العلمية تخصيصاً، مع ربطه بمجتمعنا العربي وزمن العولمة تدفعني منهجية البحث إلى العودة قبل كل شيء إلى الكل وهي اللغة، هذه اللغة التي نقرأ تعريفات كثيرة لها من علماء اللغة وعلماء الاجتماع، وعلم النفس اللغوي، وعلماء التربية والباحثين في الألسنية. تعريفات كثيرة كلها متكاملة في انتمائها إلى اللغة ودورها، وأهدافها، وكل ما يتعلق بها.

الدكتور عماد القهوجي في كتابه الذي يتحدث فيه عن النطق والكلام من منطلق اختصاصه بالأمراض العصبية والتأهيل العصبي يقول (1) :

"اللغة هي مجموعة من القوانين والقواعد الدلالية والنحوية والصرفية والصوتية المتفق عليها بين جماعة ما للتخاطب فيما بينهم، وهذه القوانين والقواعد متداخلة ومتشابكة مع بعضها ويصعب الحديث عنها منفصلة" _ إلا أن بإمكاننا القول: إن لكل لغة مفرداتها التي يتفق المتحدثون بها على أنها مفهومة لدى كلٍ منهم، ومهما زاد عدد المفردات فهو معروف ومحدد حتى وإن كان قابلاً للزيادة تطوراً مع العصر، ولكن الكلمة الواحدة قد يتغير معناها ومدلولها تبعاً لـ:

- 1- المتحدث - المستمع - الموقف - الزمان - المكان.
- 2- الكلمات المصاحبة (السياق)، ككلمة قضى : قضى بعض الوقت، قضى عليه.

ويعرفها علماء الاجتماع بأنها: كائن حي لا يمكن أن ينمو ويتطور إلا عندما يتفاعل مع الحياة الاجتماعية للمجتمع ومع جميع علوم المعرفة ((واللغة جزء من الوعي والعقل الجمعي)) وهي حقيقة اجتماعية بينما الكلام فردي.

بينما نجد أن اللغة عند الباحث اللساني السويسري فردينان دي سوسير: هي نتاج اجتماعي لمكة الكلام تتبناها المجموعة فيتمكن الفرد من ممارستها.

أما ابن خلدون فيقول عن اللغة العربية(2): أنها مكتسب يتحول إلى كيان تترسم منوالاً في الخيال والتعلم" إنها فعل تربوي تحصل تدريجياً بكثرة الحفظ والممارسة لكلام العرب حتى تصبح طبعاً في الناطق بها، والحال أنها سيرورة من التعلم وتكرار الفعل حتى يترسخ منوال اللغة فيصير بنية مبنية". ويؤكد ابن خلدون على الملكة أو الطبع الذي يتكون بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسج عليه تراكيبهم فينسج هو عليه. والملكة يجب أن تقترن بالاجتهاد الدائم الذي ينقل لغة العلم إلى العربية دون إفساد هذه الملكة التي ظاهرها طبع لصيق بالكيان وباطنها انجاز ثقافي اجتماعي.

وهنا كما يقول الباحث محسن بو عزيزي (3) فإن ابن خلدون وهو الباحث في العمران الاجتماعي الإنساني يبحث في اللغة من باب اهتمامه بالعمران البشري والاجتماعي الإنساني، وهذا ما جعله يربط بقوة بين اللغة والقوة والهيمنة والاستعمار , وشروط اجتماعية وتاريخية وجغرافية.

تقودني هذه التعاريف للغة إلى لغتنا العربية، لغة أمة إقرأ، لغة القرآن الكريم التي صمدت قروناً طويلة كما لم تصمد لغة في التاريخ, كما يؤكد الباحثون.

واللغة التي كانت لغة العلم، العلم الذي نشأت عنه وتمازجت معه وفي النهاية حفظته مخطوطات أخذ معظمها الغرب ليعيد إنتاجه بلغته هو، يجتهد ويبتدع ويبنى عليه ثم يعود إلينا بلغتهم هم كما كنا نحن قد أنتجناه بلغتنا نحن، بلغته لغة الهيمنة والقوة التي تحدث عنها ابن خلدون، قوة الحاكم المسيطر باسم العولمة على الكرة الأرضية التي صاغها قرية ترتبط جميع أجزائها عبر تقنياته الكثيرة، والمذهلة في تطورها، وفي لغته هو التي يريد أن تسود العالم في هذا الزمن زمن العولمة، لأنه يعرف تماماً أن أهم ما يربط أفراد أي شعب هو اللغة من بين العوامل الأخرى التالية لها". وقد أثبتت لنا جميع الأحداث التي مررنا بها عبر الاستعمار قديمه وحديثه أن اللغة هي أول ما يُستهدف، وأن قوة اللغة من قوة الأمة، لأن اللغة هي أداة التفكير والإبداع والتواصل, ورمز الشخصية العربية، وعنوان القومية، لذلك

حين ضعفت شوكة العرب، وتضعفت أركان دولتهم العظيمة، أصيبت اللغة بالعجز أيضاً، وصارت بعيدة عن أبنائها وعن فكرهم حتى كثرت السجلات بين مدافع عنها يريد لها الحياة والتطور والنمو وأن تتعافى من كل ما لحقها، وبين خائف عليها يريد لها البقاء كما كانت خوفاً من الرطانة واللغات الهجينة، بينما القائمون على السياسة، وهم الأقدر على النهوض بها، لاهون عنها، منشغلون بهموم السلطة ومتاعبها وغاياتها.. ناسين ما قاله كونفوشيوس حكيم الصين يوماً: لو قُدر لي الحكم لبدأت بإصلاح اللغة ...

ثرى ونحن نرى ونعيش في مجتمعاتنا العربية المخترقة من قبل عدونا، لاسيما الاختراق الثقافي، هل نقول لعدونا ولصناع العولمة بأن يكفوا عن اختراقنا، لا بل هل نناشدهم بإعادة لغتنا القوية إلينا، ونتاجنا العلمي والإنساني المسروق كي نعود أمة قوية، أم ماذا نفعل؟! !

إن المشكلة ليست حديثة فبعد عصر الانحطاط، حيث تراجعت قوة اللغة العربية مع تراجع قوة الأمة، أتى عصر النهضة الذي ازدهرت فيه الثقافة العربية، واللغة العربية قياساً بأيامنا هذه، وبدأت أصوات الأدباء بالارتفاع، مطالبة بوجوب تطوير اللغة، والانفتاح على العوالم الأخرى مع الحفاظ على هويتنا القومية.

وأذكر هنا ممن دعا إلى التجديد دائماً، لاسيما في اللغة جبران خليل جبران - 1883-1930- الذي قال في مقالة له عام 1921 بعنوان ((مستقبل اللغة العربية)): اللغة مظهر من قوة الابتكار في مجموع الأمة أو ذاتها، فإذا هجعت قوة الابتكار توقفت الأمة عن مسيرها، وفي الوقوف القهقري، وفي التقهقر الموت والانذار. وأيضاً طه حسين الذي رأى أنّ إحاطة اللغة بالتفوق خوفاً عليها من الغرب لهو أشد وقعا وضيراً على الثقافة العربية، فقال " ذلك إن مذهبنا الجديد لا يقتل اللغة، ولا يصرف الناس عنها، ولا يغير من أصولها وقواعدها، وإنما يريد أن تكون اللغة حية ونامية".

وإذ أتأمل فيما قيل أرى أن معاناة لغتنا العربية ممتدة، وتعاني نفس المعاناة السابقة، أي بين من يقول بانغلاقها على أصولها حماية لها، ومن يقول بضرورة إحيائها وإنمائها وتطويرها لكي تواكب التطور والعلوم وتصبح لغة المعرفة والعلم.

لغة الطفل:

إن جميع جزئيات مجتمع الطفولة في المجتمعات التي تسمى متخلفة، ومنها مجتمعنا العربي، مصابة بعلّة مزمنة وهي الإهمال والبعد عن الاهتمام ... فتقافة الطفل هي آخر ما تم الاهتمام به رغم عراقة الثقافة العربية.

وطب الأطفال لم يكن موجوداً حتى وقت قريب، إذ كان الاختصاص به من بين اختصاصات أخرى جديدة دخلت إلى مجتمعنا وافدة من الدول الأكثر تطوراً منّا. وكتب الأطفال حديثة العمر ولا تزال تعاني الكثير...

وبرامج الأطفال على منوالها، لا بل أكثر خطراً في هذا الزمن الذي يستهدف الشعوب فيتجه إلى تدمير أساسه وأمله ومستقبله، أي تدمير مجتمع الطفولة عبر إعلام مدرّوس موجه إلى شعوبنا، فيكون الأخطر والأبعد عن دائرة الإنقاذ هي لغة الطفل بشكل عام، ولغة الطفل العلمية بشكل خاص، لأن لغة الطفل كيان ينتمي إلى الكيان الأكبر وهي اللغة القومية لشعوبنا العربية.

وإذ عدت إلى الكثير من الدراسات العربية التي تتغلغل في صميم واقع الطفل العربي وثقافته ولغته، وجدت أن الشكوى واحدة تقريباً، والأمراض كثيرة ومتشابهة بين هذا القطر وذاك، وثقافة الطفل ولغته بمنأى عن اهتمام الساسة والمسؤولين.

وان كان هناك من تفاوت بين قطرٍ وآخر

فماذا نفعل وطفاننا يعيش ثنائية اللغة وازدواجيتها، في زمن إعلام ليس فيه من الثقافة البانية للأمة، واللغة العربية الناهضة بالحضارة سوى حروف هذه اللغة؟

لقد كانت لغة الطفل محط اهتمام العرب عندما كانوا يعيشون في البادية، إذ كانوا يرسلون الطفل إلى البادية كما حدث مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كي تتشكل ملكته اللغوية، وسليقته بما يجعله ناطقاً قوياً باللغة، ثم مطوراً ومولداً لمفرداتها مع نموه ونضجه (وفق رأي ابن خلدون) لتصبح فيما بعد لغة تغطي أصقاع الدنيا، حاملة للعلوم والإبداعات، وحضارة الأمة العربية.

هذه اللغة أضحت اليوم بحاجة إلى الإنقاذ قبل أن تضيع هوية أطفالنا القومية ويفقدوا القدرة على التواصل مع العالم، بفقدان لغة العلم والمعرفة وضياعها في زمن الهيمنة على أمتة...

حال لغة الطفل في هذا العصر:

يفتح طفلنا العربي عينيه على النور في حضن أسرته فيعي، ويعيش ثنائية لغوية، إحداها يقرأ بها عندما يدخل المدرسة وهي لغة المناهج التعليمية، وقد لا يسمعها إلا عبر بعض البرامج على شاشة التلفاز وهي ما نسميها بالفصحى، والأخرى ينطق أول ما ينطق بها، ويظل يسمعها طوال أيام حياته: من أمه، من إخوته، من أسرته القريبة، من التلفاز والإذاعة، من مشرفة الحضانة والروضة، من المعلمة، من المدرس، من الشارع، وهي العامية، حتى حين يحالفه الحظ ويوجد في أسرة تشتري له كتباً مناسبة لعمره، تتم قراءة القصة له في معظم الأحيان بالعامية لا بالفصحى التي كُتبت بها....

بينما تظل الفصحى بعيدة عن مسمعه لاسيما في سن ما قبل المدرسة، لذلك وباعتبار أن لغة الطفل هي التي تُعرفه على العالم حوله بكل مفرداته، والمعاني بكل تنوعاتها، ويتشكل مخزونه المعرفي بها، وحين يدخل إلى المدرسة ويبدأ بالتعلم بها يكون هذا المخزون غير مؤسس لمخزون يتواصل معه في بنائه اللغوي والعلمي الجديد لأن لغة الطفل العربي قبل سن المدرسة باللهجة العامية، فمن هنا تأتي المشكلة الكبرى بأن من شب على شيء شاب عليه، كما يؤكد علماء التربية، أي أنه لا ملكة للطفل بهذه الحالة قبل سن المدرسة على مبدأ ابن خلدون، إذ ما

حفظه معظمه بالعامية، والعامية لا تؤسس ملكة ليعيش عليها ويولد منها في المراحل التالية....

ولا تؤسس نطقاً سليماً فطر عليه منذ نطق اللغة...

والمشكلة الأهم بعد سن الطفولة الأولى، وهي أهم مراحل عمر الإنسان المؤثرة على مجمل شخصيته فيما بعد أن المعلم أو المدرس يشرح الدروس ويحدث الطلاب باللغة العامية.

أما الأمر الأخطر من هذا فهو ازدواجية اللغة عند الأطفال كما في المجتمع كله ويعني الباحثون هنا بازدواجية اللغة نطق الطفل لأكثر من لغة، لغته القومية ولغة أخرى أو أكثر، لاسيما وإن أسراً كثيرة في مجتمعاتنا صارت تعلم الطفل اللغة الأجنبية قبل لغته العربية التي يتكلمها بالعامية، لا بل ويتباهون بحصيلة ابنهم أو ابنتهم اللغوية الأجنبية... (كما في دول الخليج والمغرب العربي).

وربما كان الخدم في أيامنا هم الأكثر حظاً في تعليمهم للطفل هذه اللغة الأجنبية أو تلك في مرحلة ما قبل المدرسة، فأين تكمن المشكلة؟

المشكلة هي في أن الطفل ينطق اللغة العربية بالعامية التي تشكل مخزونه الأساس، إذا جاز لنا القول، بينما من يعلمه الأجنبية يعلمه إياها وفق أصولها تقريباً، هذا في حال نطقه السليم لها، وحين يكبر الطفل ويدخل المدرسة تكون ثقافته أو مخزونه من اللغة الأجنبية مؤسساً لما سيتعلمه بينما يبدأ بتعلم العربية الفصحى من البداية، وما اختزنه ذهنه لا يشكل قاعدة أو أساساً لغوياً لأنه باللغة العامية ولأن هذه اللغة مستمرة في تحصيله المدرسي من خلال شرح المعلم لجميع الدروس، حتى اللغوية، باللغة العامية التي تظل منافسة للغة الفصحى، لا بل متغلبة عليها.

لذلك حين يكبر هذا الطفل تكون اللغة الأخرى أسرع إلى ذهنه إذا ما أراد أن يتكلم. وربما هذا ما يفسر لنا نطق الكثيرين الكثيرين من أساتذة الجامعات والإعلاميين والمتقنين الكثير من الألفاظ الأجنبية وهم يتحدثون لأنها تكون الأسرع والأقرب إلى النطق عندهم.

وهذا الأمر مشكلة كبرى نعاني منها اليوم وتصل بأبناء العربية إلى القول : إن العربية ليست لغة العلم ولا تسعف من يريد الكتابة العلمية بها . علماً بأنها كانت في يوم من الأيام لغة العلم الذي صُدّر خارج حدودها ولغة التواصل والقراءة والتفكير والفهم، ولغة تحصيل المعرفة وامتلاك الثقافة التي حققت هويتنا القومية، ولغة حضارتنا الموهلة في التاريخ

لغة الطفل العلمية:

قبل أن أتحدث عن لغة الطفل العلمية بشكل خاص يجب أن أتحدث عن حال اللغة العلمية عند من يأخذ عنهم الطفل بشكل عام أي لغة العلم في عالمنا العربي.

في الإعلام:

كثيراً ما ترد – وفق دراسات المختصين – تعابير علمية غير دقيقة، سواءً في المصطلح، أو التعبير اللغوي الناقل للمعنى باعتبارنا غير منتجين للعلوم والتطور التقني المذهل، ونعاني من ضعف كبير في مواكبتنا للمعرفة، لذلك نجد معاناة كبيرة جداً في لغتنا العلمية، لأن رجل العلم عندنا متلقٍ لكل هذا بلغة الآخر، ولا يملك اللغة العربية الفطرية السليمة التي بإمكانه أن يطورها عن طريق التعريب الذي يحتاج، كي يكون مؤسساً للغة علمية سليمة في لغته، إلى تمثّل للعلم الذي أخذه عن الآخر، وفهم لغته القومية ونطقها بشكل سليم.

● لغة من يقوم على واقع التعليم عندنا في جميع مراحل التعليم لغة دخلها الكثير من الفساد، ولا تساعد على تشكل أو إيجاد لغة سليمة عند المتعلم، طفلاً أو راشداً أو كهلاً.

● التعريب من وإلى اللغة العربية يعاني من كثير من المشاكل التي تؤدي في النهاية إلى إفساد اللغة لا تطويرها.

● مشاريعنا القومية ضعيفة جداً اتجاه اللغة، لا سيما اللغة العلمية. ودليل على هذا ما سأورده (4): خبر ورد في إحدى صحفنا المحلية: تعقد المنظمة العربية للثقافة والعلوم الألسكو ، بتاريخ 2009/6/17 في مقرها في تونس، ولمدة ثلاثة أيام،

اجتماعاً يضم خبراء من تسع دول عربية لدراسة أسباب تراجع مستوى تعليم اللغة العربية.

وأوضحت المنظمة في بيان لها أن هذا الاجتماع يأتي في إطار تنفيذ مشروع "النهوض باللغة العربية لدخول مجتمع المعرفة" والذي سبق وأقرته القمة العربية في العاصمة السورية آذار عام 2008م ..
وهذا المشروع يهدف إلى:

تحديث مناهج تعليم اللغة العربية، واستخدام تقنية المعلومات والاتصالات، واعتماد مبدأ التعليم مدى الحياة، وتقريب العلوم والتقانات، وتوطينها، مع الاهتمام بالبحوث اللغوية ذات البعد التقني. ويسعى المشروع أيضاً إلى ترسيخ المعرفة بلغة المجتمع، وإتاحتها للجميع، وحماية الهوية العربية بين اللغات العالمية الحية، وتداول اللغة العربية في الأنشطة الإعلامية والإعلانية والوسائط المتعددة، والمساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. هذا ويعكف الخبراء من مصر والسودان والسعودية وسوريا وتونس والمغرب والأردن وليبيا والجزائر على مناقشة خطة الارتقاء باللغة العربية، ودراسة كيفية الاستفادة من تجارب بعض الدول العربية في أساليب تدريس اللغة العربية.

ألا يشير هذا الخبر بقوة إلى عدم وجود اهتمام عربي جدي و عملي وسريع باللغة العربية كي تواكب عصر المعرفة والعلم؟..

إذ ننتظر كل هذا الوقت كي نجتمع ونهتم لتكون لغتنا لغة المعرفة، بينما صار صناع العولمة في درجات عليا من تحقيق مشروعاتهم العولمي الذي يطال بني مجتمعنا العربي بكل جوانبه: معرفياً ولغوياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً،
لا بل نجتمع ولكن ما النتائج؟

النتائج تتجلى في كلام الدكتور عبد السلام المسدي (5) "إن السيادة الاقتصادية رمز للسيادة السياسية، والسيادة السياسية مستحيلة بدون سيادة ثقافة لغوية، وأن امتلاك لغة الآخر سلاح ليس له اعتبار تقديري في السياسة والاقتصاد والثقافة إلا

إذا استند إلى مرجعية لغوية قومية تعني الأنا على أن يقف نداءً للآخر، ولكننا في كل ما هو بادٍ على السطح الدولي أمة بلا مشروع لغوي، ونحن مجتمع يريد أن يبني منظومة تنموية وهو يغمض العين عن مآزقه اللغوي. فإذا كان هذا حال اللغة العلمية لمجتمع عربي غير موحد، ومهدد بكل جوانبه فما حال لغة الطفل العلمية في هذا الزمن؟

ولغته جزء من كيان اللغة العربية بشكل عام واللغة العربية العلمية بشكل خاص.

بدايةً لا بد أن أشير إلى ما تعنيه لغة الطفل العلمية:

يقول تقرير شهير لليونسكو تحت عنوان: "التعلم ذلك الكنز المكنون: لا بد للطفل أن يبدع لغويًا كي يتعلم ليعرف، ويشارك الآخرين من خلال توصيل أفكاره. والتفاعل مع الآخرين لا يكون إلا بامتلاك لغة متطورة". هكذا ربط التقرير بين إبداع الطفل في اللغة وبين التعلم والمعرفة والتفاعل مع الآخرين عبر هذه اللغة التي يجب أن تكون متطورة أي مواكبة للعلم والمعرفة ..

ولغة الطفل العلمية:

هي تلك اللغة البعيدة عن المجاز في العبارة، ولا تتوسل إلا بالألفاظ في دلالتها الحقيقية، وهي التي يتواصل بها الطفل مع من يعلمه سواء من خلال الكتاب أو من خلال الإعلام أو المجتمعات أو الموسوعات.

وهي لغة حية تتطور باضطراد مع تطور جميع العلوم وأنواع المعارف ...

وتشكل في النهاية نسقاً معرفياً علمياً متكاملًا عند الطفل، فما حال لغة الطفل العلمية في أقطارنا العربية الناطقة بالضاد؟

في معرض حديثي عن حال لغة الطفل العلمية لا بد لي من تناول مصادر هذه اللغة أو المجالات التي من المفترض أنها تخاطب الطفل بلغة علمية...

1- **التعليم** ... وهنا تشمل هذه المفردة المعلم أو المدرس، والمادة العلمية، والطالب، أما المتلقي، وهو الطفل، فقد درج في سن ما قبل المدرسة على لفظ العامية، و أضحي مخزونه المعرفي بشكل عام بها، لذلك حين يصل إلى مرحلة

التعليم الأساسي أو المرحلة التي يجب أن يتلقى بها العلوم كان عليه أن يتعلم اللغة والعلوم معاً مما يجعله متعباً في إتقان كلا العلمين لذلك تكون النتيجة العلمية ضعيفة لعدم وجود لغة قوية مسبقاً، تؤدي إلى تفاعله مع المعلومة وتمثلها.

وأما الكتاب المدرسي العلمي:

فهو يعاني من الحشو والتكرار وعدم الدقة مما يخلق عند الطفل معاناة في فهم المفردة العلمية أو المعلومة بدقة، وقد وجدت من خلال عودتي إلى الكثير من الدراسات العربية أن هذه المعاناة موجودة في معظم دولنا العربية حتى تلك الدول التي بدأت بتعريب العلوم في زمن مبكر عن غيرها وفي كثير من الأحيان يعاني الكتاب من مشكلة كبيرة وهي اللغة غير المناسبة لعمر الطفل المقصود بالتعليم، والجدية في التأليف بعيداً عن أي متعة أو تشويق....

والعنصر الثالث في عملية التعليم هو المدرس أو المعلم: وهو في معظم الأحيان لا يجيد لغته الفصحى، فلا يشرح بها، بل يستعين بالعامية التي تخلق بلبلة في ذهن الطفل المتلقي الذي يسمع الشرح بالعامية ويقرأ الدرس في الكتاب بالفصحى فتفوته الكثير من المعرفة ويقصر في تمثل ما تلقاه من علوم.

2- **الكتب و الموسوعات :** للأسف قلما نجد في سوق الكتاب العربي موسوعة دقيقة لمؤلف أو مؤلفين عرب ..

لذلك تكون لغة الترجمة في كثير من الأحيان، ورغم التدقيق، ركيكة وتضع المفردة في قالب من الفهم لا يعطي نتيجة للطفل مما يجعل الطفل يدير وجهه عنها، وبالطبع للكتاب العلمي الموجه إلى الطفل نفس المشاكل التي من أهمها أن المعلومة الموجهة للطفل تم توجيهها في كثير من الأحيان بلغة لا تناسبه بل تناسب عمراً آخر.

3- **الإعلام :** كم هائل من الفضائيات و الإذاعات هو من أهم سمات عصر العولمة، لأن أسياذ العولمة عندما صاغوا قرينتهم المرتبطة بعلومهم وتقنياتهم كان

هناك أمران أساسيان للسيطرة على هذه القرية وهما: الاقتصاد، الإعلام وأداتهما المال الذي يسيطر عليهما.

يجلس الطفل أمام شاشة التلفاز لي شاهد برامج الكبار والصغار، لا سيما المسلسلات والأفلام. أما برامج الكبار فكثيرا ما تنطق بلغة (فاسدة) كما يسميها ابن خلدون، وغير مؤسسة لأي ملكة أو سليقة حتى عند الطفل الصغير بل على العكس كثيرا ما تدرج لفظة غير سليمة على لسان الطفل أو الراشد أو الفتى، وترسخ في ذهنه لما تتمتع به من قوة السيطرة والتغلغل في العقل..

ولما يتمتع به الطفل من حب تقليد الكبار...

ولا تبتعد برامج الأطفال العلمية عن هذا وعن حال الكتاب التعليمي والتثقيفي وهي تعاني من:

- 1- خطأ في النحو في كثير من الأحيان.
- 2 -حشو ولغة ركيكة في أسلوبها.
- 3- عدم وجود دقة علمية في المصطلحات.
- 4- عدم تناسب بين الفكرة واللغة وعمر الطفل.
- 5- إبهار في الصورة يسيطر على الطفل ويجعله يسمع ويحفظ ويمتلك مخزوناً معرفياً بلغة ضعيفة ، وربما بشكل خطأ ، وفي كثير من الأحيان بالعامية ..
- 6-والأهم من هذا وذلك قلة البرامج العلمية المطورة للغة الطفل العلمية.
- 7-أن لغة الإذاعات العلمية تشكو من نفس العلل والإشكالات التي تصيب الإعلام المرئي ...

8- أفلام كرتون تراحم متعتها كل متعة ، مما يجعلها شديدة الخطر لا سيما حين تبتعد عن اللغة العربية الفصحى السليمة والدقة العلمية.

4- المصدر الهام الآخر هو الحاسوب والشابكة: إن الحاسوب من أكثر الأدوات التي يتعلق بها الطفل ويتعلمها بسرعة، ويشغف بها، والحاسوب أضحي مرتبطاً بعملية التعليم والتعلم في وطننا العربي من خلال الأقراص الحاملة للعلوم والمعرفة

عن طريق القصص العلمية أو البرامج أو الألعاب أو الدروس التعليمية، ولغته أضحت لغة مؤثرة بشدة في بنية الطفل اللغوية، حيث يحفظ الطفل المسميات باللغة الأجنبية (القرص :ديسك) (قرص صلب : سيدي) وغيرها فالطفل، وحتى الكبير، حين يتحدث عن هذه الأشياء يلفظها باللغة الأجنبية ...

وعن طريق الحاسوب يدخل الطفل إلى الشبكة التي لها فائدة قصوى حين يعرف الأهل كيف يربطون أولادهم بها، فيوجهونهم ويراقبونهم، لكن ما يحدث أن هذا الطفل يصل ويجول ويتلقى المناسب وغير المناسب مما يفقده الفائدة اللغوية والعلمية ...

وقد أضحى الحاسوب أقرب الوسائل التثقيفية إلى الطفل بسبب بعد الطفل عن الكتاب الذي ربما يكون موجوداً بشكل لا يتيح للطفل اقتناؤه لأسباب كثيرة

5- الهاتف النقال : وهو أيضاً وسيلة من وسائل التسلية عند الطفل، وهذا من خلال الألعاب التي كثيراً ما تكون لغتها العربية والأجنبية معاً. ومن خلال اطلاعي على بعض الألعاب وجدت قسماً منها في قطرنا السوري لا بأس به كعرفة وكمفردات علمية، وإن كان قسم منها غير مجدٍ وفيه ألفاظ غير دقيقة....

6- الأدب : عدت إلى الكثير من القصص العلمية التي كتبها أدباء عرب وبعض قصص الخيال العلمي الأدبية التي يطرح فيها المؤلف معلومات علمية بمفردات بعيدة عن الدقة العلمية.

وجدت أن قصص الخيال العلمي قد استخدمت لغة علمية سليمة في كثيرٍ من الأحيان، ممتزجة بلغة أدبية لا بأس بها (كما في قصص الأديب طالب عمران) بينما وجدت أن قسماً من القصص الأدبية وقعت بأخطاء علمية، وأخطاء علمية لغوية... وعبارات غير دقيقة وواضحة. ومن خلال اهتمامي الأدبي تأكد لي أن هذه الكتب تشد الطفل كثيراً من خلال عنصر التشويق السردي ومن خلال الخيال، لذلك يقبل عليها.. والخطورة هنا في النوع السلبي لهذا الأدب، أي الأدب الذي يتحدث إلى الطفل بلغة غير دقيقة علمياً واصطلاحياً وبأحداث غير صحيحة علمياً.

7- الألعاب التعليمية: وهي ألعاب غالبا أجنبية الصنع، وفي معظم الأحيان بلغة غير عربية..

ورغم أنها تنمي مدارك الطفل، وتضيف الكثير من المفردات إلى مخزونه المعرفي والعلمي إلا أن الكثير منها لا يفيد في تنمية لغة الطفل العربية بل قد يفسدها إن وُجد عنده ملكة لغوية..

ومن خلال الدراسات تأكد أن الطفل يقبل عليها كثيراً، ويتأثر بلغتها فيردد مفرداتها.. وقد كثرت هذه الألعاب لكنها تظل غريبة عن لغة الطفل العربية (وهنا أحيل القارئ إلى الملحق الذي يتضمن الأمثلة على ما ذكرت من فقراتٍ بالنسبة للغة الطفل العلمية في الإعلام والتعليم والألعاب والهاتف النقال والشابكة).

إنني وأنا أردد ما قاله د. عبد السلام المسدي (6):

"إن اللغة هي المعمار الخفي الذي يتشيد به الفكر، ويستقيم، والذي على قوامه تستقيم تنشئة الطفل الذي هو مخزون الأمة وقاطرتها نحو المستقبل".

هنا أتذكر ما أشار إليه ابن خلدون من ضرورة الاهتمام بلغة الطفل كأساس لإبداعه اللغوي السابق لإبداعه العلمي فأرى أن علينا الانتباه بعد الآن، وبقوة، إلى تنمية الأطر البشرية التي هي من أهم الفقرات في مشروع تنمية الدولة.. و باعتبار أن اللغة مرتبطة بالإنسان مباشرة لذلك يجب أن تكون مدرجة في جزئيات هذا التطوير.. لأن تطوير اللغة والارتقاء بها وجعلها لغة علم سليمة يعني تعزيز الانتماء إلى العصر وتهيئة الطفل لبناء المستقبل.

إن اقتصاد المعرفة (7): "هذا المصطلح الذي أضحى من أهم المصطلحات في الصحافة العالمية، حيث أضحت فيه كل من المعرفة والثقافة، أو تحولت كل من المعرفة والثقافة إلى ثروات حقيقية بالمعنى الاقتصادي والاستثماري.

لكن ولضبابية هذا المعنى في لغتنا وثقافتنا، ولضعف في تعريفه لشح المصادر المرجعية حوله صار هذا المصطلح في غربة عن الثقافة السائدة"....

تماما كما ((الرأس مال الإنساني)) كما يسميه هاملتون : "وهو مقدار المهارات والتأهيل العلمي الذي يملكه مواطنو دولة ما ومستوى فعالية النظام التعليمي في إنتاج كوادر وطنية ماهرة".

"إذن ليست صدفة أن يكون العرب من أفقر الأمم إذا كانت المعرفة هي رأس مال الاقتصاد المعاصر ، فليس النفط أو الثروات الطبيعية هي ما يحدد غنى أو فقر أمة بل توافر ثقافة و لغة معاصرة وحيّة قادرة على التفاعل مع العالم". وهنا أقول: إذا كانت الثقافة المعاصرة هي رأس مال الاقتصاد المعاصر فإن اللغة هي العمود الفقري لهذه الثقافة والأطفال هم الثروة الحقيقية للمستقبل. ولسانهم هو حافظ لغتنا حين تتحقق مقولة الأمن اللغوي.

توصيات:

كثيرة هي الإشكالات والمشاكل التي ترتبط بلغة الطفل العلمية, وكما رأينا فقسم منها يقع على عاتق الفرد وقسم منها يقع على عاتق الدولة بكل الجزئيات المتعلقة بالطفل وتربيته وتعليمه

لذلك لا بد لنا من السعي من أجل الوصول إلى لغة طفل علمية تحدد هويته القومية والوطنية, وتحقق له الإبداع في مجال اللغة أولاً ومجال العلوم ثانياً, وهذا السعي يتعلق بجميع جوانب المجتمع لذلك لا بد من:

- 1- التأكيد على أهمية لغة الطفل بشكل عام ولغة الطفل العلمية بشكل خاص، ودور هذه اللغة بقدرته على اكتساب العلوم.. وهنا لا بد و أنا اذكر هذه العبارة (لغة الطفل العلمية) أن أقول أنّ بعضهم استغرب وسألني: وهل هناك لغة علمية للطفل؟.
- 2- يجب أن نركز دائماً على موضوع التعليم والتعلم، ومعنى كلٍ منهما بدقة، لنخلق حالة تحفيز للأهل والأطفال والمعلم وكل من له علاقة يهما تجعل المفهوم واضحاً بالنسبة للتعلم التي تختلف عن التعليم بأنها الأشمل, وهي سعي الفرد (الإنسان) لكسب المعارف وكل ما من شأنه إن ينمي شخصيته ولغته من بدء وجوده

في دائرة الحياة وحتى الشيخوخة, أي أن يتعلم بنفسه لاسيما في هذا العصر الذي يتيح هذا الأمر ((أي التعلم)) عبر التقنيات المذهلة وعبر تطور الحياة مدى العمر.

3- القيام بعملية رقابة مشددة على كل ما يقدم للطفل سواء عبر الإعلام المرئي والمسموع والمقروء أو عبر المناهج التعليمية أو صحف الأطفال والكتابات الموجهة إليهم للتأكد من وجود لغة سليمة أدبياً وعلمياً... وتشكيل لجان شاملة في عملية تأليف المناهج التعليمية من خبراء اللغة- علم الاجتماع- الأدب- علم نفس لغوي- علم نفس- علوم عامة - والفن التشكيلي, إذ كثيراً ما توضح العبارات والشروحات برسوم غير مناسبة, والرسوم هامة جداً لاسيما بالنسبة لأطفال الروضة, والمرحلة الأولى من التعليم....

4- تأهيل المعلمين والمدرسين, ومعلمي رياض الأطفال, ومشرفي الحضانات, وأساتذة الجامعات من الناحية اللغوية, ومنع أي محادثة أو شرح صفي باللغة العامية....

5- إعادة النظر بلغة المواد العلمية في المناهج التعليمية, وإبعادها عن:

- الأسلوب الركيك .

- الأسلوب المغرق بجديته, لأن الطفل بحاجة إلى دمج العلم مع اللعب, ومع المتعة, ومع التشويق, لذلك يقرن الشرح العلمي بما يجعل الطفل مستمتعاً بتلقي المعلومة.

6- أن يكون هناك فحص وطني باللغة العربية تماماً كما هو باللغة الانكليزية, لمن يتقدم إلى وظيفة لها علاقة بالتعليم والتدريس وإدارة أي مؤسسة تعليمية أو ثقافية...

7- التركيز على ما يسمى (بالتلفزيون التعليمي) في الأقطار العربية, والحرص على تقديم برامج تردم الفجوة بين الطفل والناشئ والشاب, وبين العلم من خلال الأسلوب الشيق واللغة المناسبة لتقديم المعلومة العلمية.. وتشكل مصدر إثراء لغوي وعلمي للطفل ... وتحقق حالة تواصل هامة بين الطفل والناشئ وبين الإعلام.... بدل أن يكون هذا الإعلام (التلفزيون -الإذاعة) حالة ترفيه فقط لإضاعة الوقت.

وقد ثبت ان الطفل أكثر قدرة على التعامل مع التكنولوجيا الحديثة, وأسرع في التأقلم معها , وأكثر قدرة على الإفادة من التقانات المتعددة. وهذا ما يجعلنا نركز ليس على التلفزيون التعليمي فقط بل على الحاسوب أيضاً, الشبكة والألعاب التعليمية, والهاتف النقال.. من خلال التوجيه المدروس من قبل الأسرة (البيت والأسرة التعليمية) والإعلام وجميع المؤسسات الثقافية ذات العلاقة بلغة الطفل وثقافته.

9-فرض استخدام اللغة الفصحى على جميع الأقبية العربية والإذاعات لما لها من تأثير على لغة الصغير والكبير... ومنع استخدام الألعاب المسيئة لمخزون الطفل ولغته على الهاتف النقال, هذا الجهاز الصغير الأسهل استعمالاً من جميع الأجهزة الأخرى.. إذ كم نشاهد الأطفال يقضون ساعاتٍ من يومهم, إذا أتيح لهم, وهم يلعبون بالألعاب الموجودة عليها...

10- إيجاد مركز عربي ((للتعريب)) فيه خبراء من جميع الدول العربية, ويقوم بتأليف المعاجم العربية والأجنبية الدقيقة سواءً كانت الترجمة منها أو إليها. والقيام بتوحيد المصطلحات لتصل إلى جميع مناهج التعليم العربية بشكل سليم ينمي معارف الطالب ولغته في أي مرحلة وأي عمر, ويشكل وحدة تعليمية ناهضة وداعمة للهوية العربية... ولا بد هنا أن يكون من يقوم بالتعريب متقناً للغته واللغة الأجنبية... وان تكون ترجمة العلوم من قبل ذوي الاختصاص المتمكنين من لغتهم العربية والمتمثلين لما حفظوه من علوم...

11- معاجم علمية وغير علمية للأطفال والناشئة بلغة سليمة عربياً (أي من حيث اللغة العربية) وعلمياً أي من حيث دقة المصطلح, تصدر عن المؤسسات التعليمية والثقافية في الوطن العربي, وتكون مسؤولةً عن أي خطأ يقع... وتطوير هذه المعاجم سنوياً بحيث تكون مواكبة لتطور حركة العلوم واللغة, وملبية لمتطلبات المراحل التعليمية.

12- التأكيد على أهمية لغة الوطن عند الطفل وأسرته, ومربيه, والقائمين على تعليمه, وثقافته, وإشعار الطفل بأهميته حين يتحدث بها بشكلٍ فصيح وسليم, ومكافأته حين يتفوق بدراستها ونطقها وكتابتها, وإفهامه أنها الأهم وأي لغة أخرى تأتي بعدها.. مع التأكيد على دور المطالعة في تقويتها كمحادثة وقراءة وكتابة (أي تقوية اللغة).

13- البدء بخطوات عربية جادة في برنامج لمحادثة الطفل قبل سن مدرسة بهذه اللغة (أي اللغة العربية الفصحى المبسطة). وهذا الأمر بحاجة إلى إعداد كوادر ذات صلة بالطفل في هذا العمر. وقد أثبتت التجربة عند الدكتور عبد الله الدنان في سوريا نجاعة ونجاح هذا المشروع.. والآثار التي يتركها تعليم الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة التحدث بالفصحى, اللغة التي سيفكر ويتأمل ويقرأ ويتحدث ويكتب بها.....

14- ضرورة التنسيق الكامل بين وزارات التربية والتعليم – والثقافة – والإعلام ومجامع اللغة العربية في الوطن العربي, كي تكون الخطوات التي تقوم بها هذه المؤسسات العلمية والتعليمية والثقافية متطورة باستمرار ودقيقة لغوياً وعلمياً, وذات جدوى على الصعيد التطبيقي.

15- أن تقوم حملة وطنية تبين خطر العولمة على اللغة ومن ثم هويتنا القومية وأن ترتبط هذه الحملة بالعمل الجاد, لا الاكتفاء بالمهرجانات والاجتماعات والمؤتمرات, لأن الزمن لا ينتظر المتواكلين, والسياسة العالمية تستغل كل ثغرة تقصير في أوطاننا لتنفيذ منها إلى تحقيق مشاريعها ومخططاتها الاستعمارية.

16- إيلاء أهمية كبرى لكل من يقدم إضافة في مجال لغة العلوم وبالذات لغة الطفل العلمية, ومساعدته على السير بمشروعه من خلال تقديم كافة أنواع المساعدات والتشجيع.

17- السعي إلى صناعة ألعاب تعليمية للأطفال باللغة العربية, مفيدة في إثراء مخزون الطفل اللغوي والعلمي....

ملحق

يتضمن أمثلة على ما ذكرته عن لغة الطفل العلمية
في الإعلام .. المناهج .. الفضائيات

1. رغم ما في مجلة أسامة من أدب في كثيره جيّد, إلا أن المواد العلمية سواء
منها التاريخية أم الجغرافية أم العلوم من فيزياء وكيمياء وعلوم الأحياء..

- سيقت بأسلوبٍ سرديٍّ بعيدٍ عن التشويق والمتعة.. ومثلها مجلة ماجد والأخطر بعض مجلات الأطفال المصرية المكتوبة باللغة العامية.
2. في الفضائيات: مثال: فيلم أجنبي مترجم على الـ MBC3 فيلم Starting. تنظر شخصية في المسلسل إلى شجرة دراق وتقول: "آه انظر إنها شجرة خوخ"... (مثال على عدم الدقة العلمية). أيضاً تنظر شخصية أخرى إلى باخرة صغيرة في البحر فتقول لأخرى: "انظري, لقد أتى المركب"... ولا شك أن هناك فرقاً كبيراً بين المركب والباخرة, وبين شجرة الدراق وشجرة الخوخ...
3. من الكتب الثقافية الصادرة عن دور النشر مثال مهم للأخطاء الخطيرة التي تُرتكب في اللغة العلمية أثناء الترجمة.. ففي قصة مُترجمة عن الانكليزية صادرة عن مكتبة سمير في بيروت بعنوان "الجدى بشور" أجد على مدى صفحات القصة ظيباً لا جدياً, إذ استبدل المترجم الطبي بالجدى وأبقى القصة كما هي بكل لوحاتها دون أن يخطر في باله أن هذا العنصر في القصة مرتبط بما حوله من بيئة وعناصر أخرى كثيرة لا يمكن أن تنطبق على الجدى...
4. كمثال في الفضائيات على عدم دقة المعنى العلمي الموجّه للطفل: مسلسل على الفضائية السورية "مغامرات لولو وبلبل" أذيع في 2010/10/1, البرنامج يطرح معلومات علمية عن البترول.. فتد عبارة من إحدى الشخصيات تشرح كيف نحصل على البترول: (حيثُ يستخرجوه) خطأ واضح والأصح (حيث يستخرجونه). ثم تسأل إحدى الشخصيات ما هو التنقيب فيكون الجواب من شخصية أخرى: (إنهم يحفرون عدداً من الآبار بحثاً عن النفط).. الإجابة طبعاً غير دقيقة, فالتنقيب هو البحث أولاً ثم الحفر.. البحث بالأجهزة التي يتبعها حفر الآبار.

5. أما المثال عن المناهج وهو موجود في معظم مناهجنا العربية, لكنني أسوق

نموذجاً من كتاب القراءة لتلاميذ الصف الرابع من التعليم الأساسي في سورية (ص46) وهو حول عدم انسجام الفكرة العلمية مع اللغة والعمر الذي وُجِّه إليه النص, أي سذاجة الفكرة قياساً بالطفل الموجه إليه النص (تغيب الشمس فيقول طفلاً: ضاعت وأخر: ضاع النور هيا نشعل كومةً من عيدان لنرجعها.. طفلاً آخر: لا يولد النهار من جذوة نار ثم يأتي الأستاذ ليقول: النور في الكتاب)- حين سألت طفلاً في الصف الأول وآخر وآخر كلهم عبّروا عن غياب الشمس بكلمة غياب... فهل هذا النص مناسب للعمر الموجه له... وهل حين أقرؤه ثم أقرأ نصاً في كتاب العلوم للصف الأول أستطيع أن أقبل أن يوجه هذا النص للصف الرابع والنص التالي (ص7) للصف الأول: (هذه العصا الخاصة تطلق أشعة, الأشعة تنبّه الرجل عند وجود شيء يعترض طريقه).. وفي (ص9) من نفس الكتاب (استطلع التوازن وأجزاء الجسم) وفي (ص12) شرحاً لكلمة (آمنأ أي تتوفر فيه قواعد السلامة).

حين قرأت كتاب العلوم للصف الأول وكتاب العلوم للصف الرابع لم أجد أي فرق بين اللغة العلمية للصفين من حيث المفردات والأسلوب, الصعوبة والسهولة. لكن الأهم هو حين نقارن كتاب القراءة للصف الأول بكتاب العلوم, اللغة العلمية في كتاب العلوم لا تناسب أبداً الصف الأول الذي لا يتضمن مخزونه المعرفي ما يُطرح من مفردات.

المراجع

- 1- النطق والكلام وصعوباتها عند الأطفال -إعداد د. عمار قهوجي - ص26 - دار القدس للعلوم - دمشق

- 2- محاضرة ((اللغة وروابط الهيمنة عند ابن خلدون)) – كتاب اللسان العربي وإشكالية التقني ص151 – محسن بو عزيزي – مركز دراسات الوحدة العربية
- 3- نفس المرجع السابق
- 4- الملحق الثقافي للثورة – عدد648 – 2009 / 6/16
- 5- ((لغة الطفل والتحديات الراهنة)) – عبد السلام المسدي – المؤتمر السنوي السادس لمجمع اللغة العربية ص28
- 6- المرجع نفسه – ص28
- 7- الملحق الثقافي للثورة – د. علي سليمان – عدد 692 – 2010 / 5/8 – الصفحة الأخيرة
- 8- طرائق تعليم اللغة عند الأطفال – د. محمود السيد – وزارة الثقافة.